المحاضرة الرابعة: الاستعمار الفرنسي في افريقيا واسيا

هـ – الكشوفات الفرنسية: جاءت الكشوفات الفرنسية متأخرة بعض الشيء بالقياس لكشوفات كل من الانجليز والبرتغاليين والاسبان، وتركت نحو امريكا الشمالية حيث تم اكتشاف كندا التي اسس الفرنسيون فيها اول مستعمرة لهم سنة1613. أما مدينة كوبيك فقد اسوسها على ضفاف نهر سان لوران سنة1608، وفي سنة1662 اكتشفوا نهر المسيسيبي وانشأوا مستعمرة لويزيانا الفرنسية ويمكن القول أن المكتشفات الفرنسية بقيت ضعيفة، ولم يمكن الحفاظ عليها لأن فرنسا اتبعت فيها سياسة استعمار الاراضي الواسعة. كما انها لم ترسل أو تهجر الايدي العاملة الفرنسية الكافية لاستيطانها ولم تضع جيوشا قوية في مستعمراتها آنذاك للمحافظة عليها[1].

النفوذ الفرنسي في الهند والبحار الشرقية[2]:

تأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية[3] في عهد الملك هنري الرابع[4] عام1604م وقد سعت هذه الشركة لبسط نفوذها على البحار الشرقية وساعدتهما على ذالك العوامل التالية:

---

[1])- عباس حميدي، جعفر: تايخ افريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الاردن، 2002، ص103.

[2])- انظر الملحق رقم : 04.

[3])- شركة الهند الشرقية الفرنسية هي شركة تجارية أسست عام 1664م من قبل جان بانيست كولبير والذي كان يشغل منصب وزير مالية الملك لويس الرابع عشر. زالت الشركة من الوجود خلال ثورة عام 1789 الفرنسية . https://www.marefa.org تاريخ الزيارة 20افريل2020.

[4])- هنري الرابع ملك فرنسا (بالفرنسية: Henri IV) ويعرف أيضا بـ هنري الثالث ملك نافارا (13 كانون الأول/ ديسمبر 1553 - 14 أيار/ مايو 1610)، حكم مملكة فرنسا من عام 1589 إلى 1610، وهو نفسه هنري الثالث من نافارا، ملك مملكة نافارا في الفترة من 1572إلى 1610. وكان أول ملك من آل بوربون، العائلة الملكية الأوروبية المشهورة، وهي فرع من سلالة الكابيتيون. والداه أنطوان دوق فندروموجين الثالثة ملكة نافارا. يُعرف أيضًا بلقب الملك الصالح هنري أو هنري الكبير، استلم حكم ناڤارا مثل هنري الثالث عام 1572 واستلم حكم فرنسا بين عامي 1589 و 1610. كان أول ملك لفرنسا من آل بوربون، فرع من سلالة الكابيتيون الحاكمة. اغتيل عام 1710على يد الكاثوليكي المتعصب فرانسوا رافيلك وخلفه

– تدعيم النفوذ الفرنسي في المحيط الهندي بواسطة مراكز عسكرية وتجارية كمدغشقر وما جاورها.

– اتخاذ الفرنسي في المحيط الهندي بواسطة مراكز عسكرية وتجارية كمدغشقروماجاورها.

– تشجيع التنافس المحلي في الهند.

– استغلال فرنسا لرغبات الأمراء الهنود التوسعية على حساب بعضهم البعض حيث كانت فرنسا تسارع إلى تأييد أحد الأطراف المتنازعة مقابل تنازل ذلك الطرف للفرنسيين عن بعض أرضيه، وبذلك تكسب أراض تضمها إلى ممتلكاتها.

– حصول الشركة الرئيسية على حق المتاجرة في الشواطئ الهندية بعد بسط نفوذها على كاليكوت.

المرحلة الثالثة: شهدت مرحلة التحالف التي مرت بها الحضارة الاوربية في دورتها الثانية، توسعا استعماريا لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية والقرن التاسع عشر هو بحق قرن الامبراطوريات الاستعمارية بالمعنى التام للكلمة، والواقع أن التطور السريع للرأسمالية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة للتقدم التقني والعلمي وخاصة الآلة البخارية وما نجم عن ذلك من ازدياد الانتاج وتشبع السوق الداخلية، والحاجة إلى أسواق جديدة خارجية

في الحكم ابنه لويس الثالث عشر. وكُرّست السنوات ال12 الأخيرة من حكمه الناجح لاعادة الحالة المالية الاقتصادية في فرنسا إلى سابق عهدها ، فشجّع هنري الرابع ملك فرنسا التجارة والصناعة والاستكشاف الاستعماري المبكر وإقامة المستعمراتوالعمران. كان ابن أنطوان ديبوربون دوق مدينة ڤيندوم وجيان دي ألبيرت ملكة ناڤارا، عُمّد ككاثوليكي، إلا أنه ترعرع على عقيدة أمه البروتستانتية. ورث عرش ناڤارا عام 1572 بعد وفاة والدته. تورط هنري في حروب فرنسا الدينية كونه هوغونوتيًا، إذ نجا من الاغتيال بأعجوبة في مذبحة سان بارتيليمي، وقاد لاحقًا الجيش البروتستانتي ضد الجيش الملكي https://www.marefa.org . تاريخ الزيارة 20افريل2020.

لتصريف الانتاج وتوظيف الأموال المتراكمة من الفترات الاستعمارية السابقة على شكل فائض قيمة تاريخي، كل هذا ولد هجمة استعمارية جديدة تتسم بالشراسة والبشاعة شملت بشكل خاص مجمل القارتين الاسيوية والافريقية، وأدى كل ذلك إلى حصول كل من انكلترا وفرنسا والمانيا واليابان على مستعمرات تفوق في أهميتها وفي مساحتها ما حصلت عليه الدول الاستعمارية القديمة كهولندا والبرتغال في القرون السابقة مجتمعة.

بداية القرن العشرين كانت حفنة صغيرة من الدول الاوروبية قد انجزت اقتسام العالم وأحالت إلى العبودية القسم الأكبر من الانسانية، وهكذا ففي مدة لا تزيد عن خمسين سنة ارتفعت مساحة المستعمرات البريطانية من5،6مليون كلم إلى 5،33مليون كلم^2، أي ما يعادل ربع مساحة الكرة الارضية، كما ازدادت فرنسا خلال ذلك مساحة مستعمراتها من5،0 مليون الى10 ملايين كلم[52]. وفي افريقيا التي لم تكن المستعمرات الاوربية تبلغ خلال السبعينات من القرن التاسع عشر سوى عشرة بالمائة من مساحتها الاجمالية، فإنها اصبحت بكاملها مقسمة بين الدول الاوربية في نهاية ذلك القرن أي خلال ثلاثين عاما فقط[6].

وللوهلة الأولى يمكننا أن نلاحظ أن كثافة التسابق من أجل الحصول على المستعمرات خارج حدود القارة الأوربية قد بدأت منذ منتصف القرن الماضي وتحديدا بعد تحقق الوحدة الألمانية. إن الأحدث التي شهدتها القارة الاوربية منذ الخمسينات القرن التاسع عشر والتي

---

[5])- انظر الملاحق رقم :8، 9، 10 و 11.

[6])- التوسع الاستعماري :هومذهب سياسي نشأ في أواخرالقرن 16 تلجأ فيها الدول الكبرة نتيجة نهضتها الاقتصادية والعسكرية إلى تكوين إمبراطوريات عن طريق الغزو، أنظر: إبراهيم مرزوق: موسوعة أهم الأحداث التاريخية، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2002، ص127.

رأسها الوحدتين الايطالية والالمانية وضعف الدولة العثمانية وظهور بعض الدول الجديدة الصغيرة التي اصبحت تطمع في جزء من المستعمرات جعل تلك الفترة تتسم بتلك الحملة المحمومة والمسعورة من التسابق وللهاث وراء استعباد الشعوب واستنزاف ثروتها وخيراتها وبعد ان حاولت كل من بلجيكا والمانيا الحصول على بعض المستعمرات في افريقيا كحق طبيعي لهما في الاستفادة من هذا العالم المغلوب على امره، كما هو وضع كل من فرنسا وبريطانيا المستعمرتين التقليديتين بدأت تتحد معالم صراع مقبل خطير في ابعاده، غريب في اهدافه كارثي في نتائجه فنادت الدول الاوروبية الاستعمارية للاجتماع في برلين عام1885[7] وبرغبة من بسمارك[8] لحل هذه الازمة الاستعمارية التي راح عدم حلها ينذر بخطر التنازع الدموي خاصة في ظل وجود قوى صاعدة لا يمكن التخفيف من حدة طموحاتها بدو اشراكها ولو نسبيا في حصة من المستعمرات. وقرر التحالف الاوروبي خلال المؤتمر تخفيف الصراع والتوزيع المغانم ووضع مبدئا قانونيا حول صحة الاحتلال الاستعماري وهو الاحتلال الفعلي، ومبادئ قانونية اخرى كالمساواة الاقتصادية وحرية الملاحة في نهري

[7])- حول تاريخ انعقاد المؤتمر، اطرافه وظروفه، انظر الملحق رقم :06.

[8])- اوتوفون بسمارك 1815 /1898. سياسي الماني عمل على تحقيق الوحدة الالمانية اصبح مستشاارا الامبراطورية بعد الانتصار على فرنسا1870 جعل من بلاده قوة اوربية ودولة استعمارية. المنجد في اللغة والاعلام، مرجع سابق، ص128.

الكونغو[9] والنيجر[10]...الخ.

وفي سياق هذه الحملة التي استهدفت الاجهاز على ما تبقى من أرض خارج نطاق السيطرة الاستعمارية الاوربية او امتداداتها الحضارية الرأسمالية، كالاستعمارين الياباني والامريكي لجأت بعض الدول إلى تغطية العملية الاستعمارية تحت اسماء مختلفة، فابتدعت مؤسسة الحماية الدولية التي طبقت على تونس والمغرب الاقصى بالنسبة لفرنسا عامي 1881 و1912 على التوالي[11]، وعلى كوريا بالنسبة لليابان، وعلى كل من مصر واليمن وبعض مناطق الخليج العربي بالنسبة لبريطانيا، وعقب الحرب العالمية الأولى تم ابتداع مؤسسة الانتداب– حسب ما ورد في ميثاق عصبة الامم– الذي قسم إلى ثلاثة انواع هي: أ

---

[9])- هو ثاني أكبر نهر في العالم من حيث حجم المياه التي تحملها بعد نهر الأمازون في أمريكا الجنوبية ، ويحمل نهر الكونغو سنويا حوالي1.054مليار متر مكعب من المياه التي يحملها نهر النيل سنويا، يبلغ طوله من منابعه في منطقة بحيرة تنجانيقا في زامبيا حتى مصبه في المحيط الأطلسي 4011 كلم، ويعتبر نهرالكونغو أعمق نهر في العالم حيث يبلغ متوسط عمقه 221م (وفي الأزمة الحديثة ظهر نهر الكونغو على شكل بحيرة شاسعة بينكنشاسا ومنادي، وإستمرت هذه البحيرة حتى أوائل القسم الثاني من القرن الاربع بعد الفترة الجليدية، واستمر بوضعه هذا حتى إستطاعت البحيرة أنتحفر لها مخرجا غرب كنشاسا، ويعتبر ثاني أنهار إفريقيا من حيث الطول وأولها م نحيث مساحة (الحوض) قام ستانليب أربع رحلات. في سبيل استكشاف هذا النهر، أما الجزء الثاني من رحلته هو نهر الكونغو، فقد صادف أثناء تجواله أن إلتقى بالزعيم العربي محمد بن محمد المرجي، فوصف له المنطقة لأنه إشتهر في كثب الرحالة، وكل أنهارها وإتفق معه إرشاده هو وأتباعه لإكتشاف نهر الكونغو. وقد نشر ستانلي تفصيلات رحلته فيما بعد، ودخل في خدمة الملك لبوبولد وأرسل عدة بعثات للكونغو للعمل لحساب الملك البلجيكي وكما سترى كانت هذه الرحلة بمثابة بداية حركة الإستعمار الاوربي في العمق الافريقي. للمزيد انظر: عبدالقادر مصطفى المحيشي، عبدالعباس فضيح العزيزي، سعدية الصالحي: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، الدار الجماهيرية، ط1، ص55 . وايضا: عيسى على إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دارالمعرفة الجامعية، د.ط، ص20.

[10])- نهر النيجر: كان اسمه عند العرب قديما نيل السودان، ومنه ربما تتأصل التسمية الأوروبية Niger نِيجَر، وهي تعني *أَسْوَد* باللاتينية (هو النهر الرئيسي في غرب أفريقيا وطوله 4180كم ويمر عبر غينيا ومالي والنيجر وبنين ونيجيريا ليصب في دلتا النيجر في خليج غينيا على المحيط الأطلسي ونهر النيجر ثالث أطول نهر في إفريقيا. ولا يفوقه في الطول سوى نهر النيل ونهر الكونغو. يمتد نهر النيجر حوالي 4,180كم غربي إفريقيا. ويحمل من الماء أكثر من أي نهر إفريقي آخر عدا نهر الكونغو. ويروي نهر النيجر حوالي 1,500,000كم² من الأراضي. أصبح المكتشف الأسكتلندي مونجو بار كأول أوروبي يكتشف مجرى نهر النيجر. وقد باشر حملة على النهر أعوام 1796م و 1797م و 1805م و 1806م. https://www.marefa.org

[11])- عطا الله الحمل، شوقي: الوحدة الافريقية ومراحل تطورها من المؤتمر اكرا حتى مؤتمر تنمية الصناعة الافريقي الأول بالقاهرة عام1966، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، مصر 1966، ص ص 157-158. انظر ايظا الملحق رقم 06.

و ب و ج، يطبق كل واحد على مجموعة من الشعوب بحسب مستواها الحضاري حسب ما قررته العقلية الاوربية. فالنوع أ، طبق على الاراضي التي انسلخت عن الدولة العثمانية والنوع ب طبق على المستعمرات التي انتزعت من المانيا وسلمت لغيرها من الدول كأستراليا ونيوزيلندا. والنوع ج طبق على مستعمرة ناميبيا في جنوب غرب افريقيا. كما انه بعد الحرب العالمية الثانية وحسب ما نص عليه ميثاق الامم المتحدة، تم ابتداع مؤسسة الوصاية التي انتقلت بموجب قوانينها، الدول الواقعة تحت الانتداب إلى دول واقعة تحت الوصاية وأن كان الوضع بعد الحرب الثانية كان قد دخل مرحلة جديدة في كل شيء جعلت النظم التقليدية للاستعمار اثرا بعد عين.

اما في القارة الامريكية فقد نادت الولايات المتحدة الامريكية التي نمت وتطورت فيها الرأسمالية بشكل مثير بمبدأ مونرو الذي سعة بموجبه إلى اغلاق القارة في وجه التوسع الاستعماري الاوربي، اي انها احتكرته لنفسه ثم اضافت اليه مبدأ الباب المفتوح فيما يتعلق بالشرق الاقصى، مساهمة على اساسها في التوسع الاستعماري في هذا التوسع الاستعماري في هذا الجزء من القارة الأسيوية[12].

وفي الختام فإن مما يجدر ذكره أن هذا السباق الرأسمالي العالمي لاقتسام العالم الجنوبي تحت الزعامة الاوروبية، أدى الى خروج بعض الدول الرأسمالية الناشئة مثل المانيا وايطاليا واليابان بحصص ضئيلة لم تشبع طموحها حسب ما فرضتها قسمة مؤتمر برلين، مما دعاها

[12])- انظر الملحق رقم 06.

إلى المطالبة بإعادة الاقتسام في محاولة لتوسيع النطاق حصصها من المستعمرات، وكانت هذه الاهداف الباطنة سببا رئيسيا وجوهريا يقف وراء اندلاع الحربين العالميتين الأولى ثم الثانية بمبادرة المانيا، وبالتالي فإن هاتين الحربين وماسبق كلا منهما كان بمثابة توجيه للسفينة الاوربية باتجاه الأعداد للصدام الدموي على خلفية التنازع على المغانم والاملاك والمستعمرات رغم ما اعترى هاتين الحربين من مداخلات عديدة اسهمت بدورها في نقل الحضارة الاوربية الاستعمارية المادية الصهيونية إلى اخر مراحلها التي لازلنا نعيشها لغاية الان، وهي المرحلة الانتقالية التي سنستشف في ضوء معطياتها وحيثيتها المختلفة آفاق حلول حضاري جديد مقبل بدأنا نلمح احتمال مقومات التحول باتجاهه منذ سنوات قليلة[13].

[13])- هارتسجون: تاريخ إفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية، تر :عبد المنعم السيد منسي، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، القاهرة، د،ط، 1965، ص6.